

الحلقة السادسة والعشرون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

كل منا أصدقائي يرغب أن يكون الأول، وأن يصبح الأعظم. حتى بين أفراد أسرته يحب الإنسان أن يحوز على المركز الأول، وفي المجتمع يحب أن يكون هو المتقدم بين زملائه وأقرانه. هذه هي طبيعة الإنسان، فمن البديهي أن يحب الإنسان نفسه ويطلب الأفضل لها. هل تعلم مستمعي أن هذا الأمر ينطبق أيضاً على علاقتنا مع الله؟ قد يستغرب البعض هذا القول، لكن إذا استعرضنا تاريخ البشرية، لوجدنا أن الكثيرين ظنوا أنهم هم المفضلون أمام الله، أو أنهم أحباء الله أو شعبه. وفي لقاء اليوم سنتحدث كيف يصبح الإنسان مفضلاً أمام الله، ومن شعبه.

كنا قد تأملنا في اللقاء الماضي عن إجابة المخلص المسيح عن تساؤلات النبي يوحنا المعمدان أو النبي يحيى، بخصوص حقيقة شخصيته وإرساله. مؤكداً أنه هو المسيح المنتظر الذي تنبأ عنه أنبياء العهد القديم. ومبرهنناً أن العجائب الباهرة تشهد له. ثم تحدث المخلص المسيح إلى الجموع عن يوحنا قائلاً:

«مَآذَا خَرَجْتُمْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِتَنْظُرُوا؟ أَقْصَبَةٌ تُحَرِّكُهَا الرِّيحُ؟ لَكِنْ مَآذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا؟ أُنْسَانًا لِأَبْسَا ثِيَابًا نَاعِمَةً؟ هُوَذَا الَّذِينَ يَلْبَسُونَ الثِّيَابَ النَّاعِمَةَ هُمْ فِي بُيُوتِ الْمَلُوكِ. لَكِنْ مَآذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا؟ أَنْبِيَاءُ؟ نَعَمْ، أَقُولُ لَكُمْ، وَأَفْضَلُ مِنْ نَبِيِّ. فَإِنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ: هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلَائِكَةَ الَّذِي يَهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقَمْ بَيْنَ الْمُؤَلَّدِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَلَكِنَّ الْأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ» (بشارة متى ١١: ٧-١١).

من المسلم به أن الله قد أرسل النبي يوحنا المعمدان لكي يمهّد الطريق أمام المخلص المسيح. وكان يوحنا المعمدان يبشّر بالبرية قائلاً: «توبوا فقد اقترب ملكوت السموات» (بشارة متى ٣: ٢). ولم يكن يوحنا كما ذكر المسيح، يلبس الثياب الناعمة بل وبر الجمال، وكان يفتات الجراد والعسل البري. وأكد المسيح في تصريحه أن يوحنا المعمدان كان أفضل أو أعظم من نبي. وأضاف قائلاً أنه: «لم

يَقُمْ بَيْنَ الْمُؤَلَّودِينَ مِنَ النَّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمُعْمَدَانَ». أي كان حتى ذلك الوقت أعظم إنسان يولد. إذ قام بأعظم مهمة يؤديها إنسان. والسبب لأنه مهّد الطريق أمام مجيء المسيح المخلص المنتظر. إلى هنا يبقى تصريح المسيح معقولاً ومنطقياً، لكن المسيح فاجأ مستمعيه قائلاً: «وَلَكِنَّ الْأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ». أجل، إن أصغر إنسان يدخل إلى ملكوت السموات أو ملكوت الله، سيكون أعظم من النبي يوحنا المعمدان الذي مهّد لمجيء المسيح، بالنسبة لنظر الله.

وهنا تُطرح التساؤلات الهامة التالية: هل من المعقول أن يصبح أي إنسان يقبل ملكوت الله أعظم من النبي يوحنا المعمدان؟ ولماذا؟ وكيف؟ للإجابة عن هذه التساؤلات علينا أن نعلم أولاً: أن مجيء المسيح إلى عالمنا هو الحد الفاصل، بين ما قبل المسيح وما بعده. وهو الحدث البارز في التاريخ البشري. فكل ما كان قبل مجيء المسيح كان مجرد تمهيد لما بعد مجيئه. وبما أن يوحنا المعمدان كان آخر نبي في فترة العهد القديم، وقد مهّد لمجيء المسيح المنتظر، لهذا أُعتبر أعظم نبي. لكن الذي يؤمن اليوم بالمسيح المخلص، أي يدخل إلى ملكوت الله، يعتبر أعظم حتى من النبي يوحنا المعمدان.

أجل، لقد بدأ المسيح بمجيئه عصراً جديداً، يختلف بالكلية عن العصر الماضي، أي عصر العهد القديم. ولهذا إن كل من يؤمن به يصبح عضواً في هذا العصر الجديد، عصر ملكوت الله. وبالتالي لا بدّ أن يُعتبر أعظم حتى من أنبياء ومؤمني العهد القديم.

مستمعي العزيز، لعلّ السؤال الذي لا بدّ أن نطرحه هو: ماذا يعني ملكوت السموات أو ملكوت الله؟ وكيف باستطاعتنا الدخول إليه؟ لا بد لنا أولاً أن نحدد معنى كلمة ملكوت. تعود كلمة ملكوت إلى فعل مَلَكَ، أي صاحب السلطة العليا، أو القادر على التصرف بأمرٍ ما. والملكوت هو المكان الذي ينشر صاحب السلطان الملك عليه، أو الزمان الذي يكون فيه سائداً. وأيضاً قد يكون الملكوت وضعاً ما أو حالة معينة تخضع لسلطان الملك وسيادته. وهكذا نقول إن ملكوت الله أو ملكوت السموات هو سلطان الله أو سلطان السماء على البشر.

وعندما تحدّث المخلص المسيح عن ملكوت الله، فهو قصد بدء عصر حلول سلطان الله وسيادته على البشر. وتحقق وعود الله منذ القديم للإنسان. ولهذا أُعتبر هذا العصر أفضل وأعظم بكثير من زمن العهد القديم، وكذلك يُعتبر كل شخص يدخل إلى ملكوت الله، أعظم من أنبياء ومؤمني العهد القديم.

نجيب الآن عن الشق الثاني من السؤال الذي طرحناه وهو: كيف باستطاعتنا الدخول إلى ملكوت الله؟ فنقول: لقد أتى المخلص المسيح إلى عالمنا لهذا الغرض بالذات، أي لكي يفتح الطريق أمام دخول الإنسان الخاطئ إلى ملكوت الله. وذلك عندما أتم عمل الفداء على الصليب. أجل مستمعي، إن المسيح بعمله الكفاري على الصليب فداء لخطايانا، وقيامته الظاهرة من بين الأموات، ثم صعوده حياً إلى السماء، فتح الطريق واسعاً أمام أي إنسان خاطئ يؤمن به لكي يدخل إلى ملكوت الله. أي يملك الله عندئذ على حياته، بواسطة روحه القدس، ويصبح بالتالي من أولاد الله.

ألا ترغب مستمعي أن تدخل إلى ملكوت الله؟ ما عليك إذن إلا أن تتوب عن خطاياك، وتؤمن بالمخلص المسيح الذي مات على الصليب لكي يكفّر عنها. وعندها تصبح عضواً في هذا الملكوت، ومن أولاد الله المبررين الحائزين على الحياة الأبدية. لا بل تغدو أعظم من النبي يوحنا المعمدان نفسه!